إلهامات من القرآن



سُورَةُ المُدَّثِّر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢)
وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)
وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ
فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ
شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ
كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)
فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ
(٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا
إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧)
لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً
وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا
لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ
(٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ
يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ
مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)
فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
(٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ
الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ
إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)

إعداد : قدرى جاد

إهداء للأستاذ / صفوت جيلانى

تفسير القرآن/ التستري (ت 283 هـ)

{ يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ } * { قُمْ فَأَنذِرْ }

قوله تعالى: { يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ } [1-2]

قال: يا أيها المستغيث من إعانة نفسك على صدرك وقلبك، قم بنا وأسقط عنك ما سوانا، وأنذر عبادنا لأنا قد هيأناك لأشرف المواقف وأعظم المقامات .

حقائق التفسير/ السلمي (ت 412 هـ) *

{ يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ } * { قُمْ فَأَنذِرْ }

قال بعضهم: أزعج سره بالتجريد عن سكونه إلى القيام فى الطلب وعن طمأنينته حتى ورمت قدماه

ثم قال: (فاعلم أنه لا إله إلا الله)

فدلّ على دعوته إياه على التفريد { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } الآية:3،

تفسير لطائف الإشارات / القشيري (ت 465 هـ) *

{ يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ } * { قُمْ فَأَنذِرْ }

يا أيها المتدثر بثوبه.

وهذه السورة من أول ما أُنْزِلَ من القرآن.

قيل: إنَّ رسولَ الله ﷺ ذَهَبَ إلى حِرَاء قبل النُّبُوة، فَبَدا له جبريلُ

في الهواء، فرجع الرسول إلى بيت خديجة وهو يقول

" دثِّروني دثِّروني " فَدُثِّرَ بثوبٍ فنزل عليه جبريل

وقال: يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ

وقيل: أيها الطالبُ صَرْفَ الأذى عنك بالدثار اطلبْه بالإنذار.

ويقال: لمَّا سَكَنَ إلى قوله { قُمْ } وقام قَطَعَ سِرَّه عن السُّكونِ إلى قيامِه، ومن الطمأنينة في قيامه.

تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي (ت 606 هـ) *

{ يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ } * { قُمْ فَأَنذِرْ }

يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ .. اى ايها الغريق فى قلزم القِدم قم بدعوى محبتى وانذار احبائى عن الاشتغال بغيرى.. واظهر جواهر حقائق بحر عينى للمقبلين الينا .

وقال بعضهم قم الينا بالقعود عما سوانا .

تفسير القرآن / ابن عربي (ت 638 هـ) *

{يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ } * { قُمْ فَأَنذِرْ } * { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } * { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } * { وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ } * { وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } * { وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ }

يا أيها المدّثر أي: المتلبس بدثار البدن، المحتجب بصورته

{ قُمْ } عن ما ركنت إليه وتلبست به من أشغال الطبيعة

وانتبه عن رقدة الغفلة فأنذر نفسك وقواك

وجميع من عداك عذاب يوم عظيم

{ وربّك فكبر } أي: إن كنت تكبر شيئاً وتعظم قدره

فخصص ربّك بالتعظيم والتكبير لا يعظم في عينك غيره

ويصغر في قلبك كل ما سواه بمشاهدة كبريائه.

{ وثيابك فطهّر } اي: ظاهرك طهره أولاً قبل تطهير باطنك عن مدانس الأخلاق وقبائح الأفعال ومذامّ العادات ورجز الهيولى المؤدّي إلى العذاب
{ فاهجر } أي: جرّد باطنك عن اللواحق المادية

والهيئات الجسمانية الغاسقة والغواشي الظلمانية الهيولانية.

{ ولا تمنن تستكثر } ولا تعطي المال عند تجرّدك عنه

مستغزراً طالباً للأغواض والثواب الكثير به،

فإن ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم وقصور همّة، بل خالصاً لوجه الله
افعل ما تفعل صابراً على الفضيلة له لا لشيء آخر،

وهذا معنى قوله: { ولرّبك فاصبر } أو لا تعط ما أعطيت في الزهد
والطاعة والترك والتجريد مستكثراً رائياً إياه كثيراً

فتحتجب برؤية فضيلتك وتبتلى بالعجب فيكون ذنب رؤية الفضيلة

أعظم من ذنب الرذية، كما قال عليه السلام:

" لو لم تذنبوا لخشيت عليكم أشدّ من الذنب،

العجب العجب العجب "

، بل اصبر على الفضيلة خالصاً لوجه ربّك لا لغرض آخر

هارباً عن الرذيلة بالطبع لا فضيلة لها أصلا،

فلا تبتهج برؤية زينتها بالفضيلة بل بفضل الله عليك

. فتتذلل وتخضع لا تتعزز وتستكثر.

روح البيان في تفسير القرآن/ اسماعيل حقي (ت 1127 هـ) *

{ يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ }

يا أيها المدثر **بتشديدين أصله المتدثر** وهو لابس الدثار

وهو ما يلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد ومنه قوله عليه السلام

" الأنصار شعار والناس دثار "

وفيه إشارة إلى

أن الولاية كالشعار

من حيث تعلقها بالباطن والنبوة كالدثار من حيث تعلقها بالظاهر

ولذلك خوطب عليه السلام فى مقام الإنذار بالمدثر

روى عن جابر رضى الله عنه عن النبى عليه السلام

أنه قال كنت على جبل حرآء فنوديت يا محمد إنك رسول الله

فنظرت عن يمينى وعن يسارى ولم أر شيأ فنظرت فوقى

فإذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه
فرعبت ورجعت الى خديجة رضى الله عنها

فقلت دثرونى دثرونى وصبوا علّى ماء بارداً فنزل جبريل

وقال يا أيها المدثر يعنى أنه إنما تدثر بناءً على إقشعرار جلده

وارتعاد فرآئصه رعبا من الملك النازل

من حيث أنه رأى مالم يره قبل ولم يستأنس به بعد

فظن أن به مسا من الجن فخاف على نفسه لذلك

وذكر حضرة الشيخ الاكبر قدس سرة الأطهر

أن التدثر إنما يكون من البرودة التى تحصل عقيب الوحى

وذلك أن الملك إذا ورد على النبى عليه السلام بعلم أو حكم

يلقى ذلك الروح الإنسان وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية

فيتغير الوجه وتنقل الروطوبات إلى سطح البدن لاستيلاء الحرارة
فيكون من ذلك العرق فإذا سرى عنه ذلك سكن المزاج

وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهوآء

من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة

فتُزاد عليه الثياب ليسخن. إنتهى.

وقرر بعضهم هذا المقام على غير ما ذكر

كما قيل فى كشف الأسرار وتفسير الكاشفى.

وقال السهيل رحمه الله كان عليه السلام متدثرا بثيابه حين فزع

من هول الوحى أول نزوله قال دثرونى دثرونى

فقال له ربه أيها المدثر ولم يقل يا محمد ولا يا فلان

ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم فى المزمل

وفائدة أخرى مشاكلة الآية بما بعدها

ووجه المشاكلة بين أول الكلام وبين قوله قم فأنذر خفى

إلابعد التأمل والمعرفة

بقوله عليه السلام انى أنا النذير العريان

ومعنى النذير العريان الجاد المشمر وكان النذير من العرب اذا جتهد جرد ثوبه وأشار به مع الصياح تأكيدا فى الانذار والتحذير

وقد قيل أيضا أن أصل قولهم النذير العريان ان رجلا من خثعم

أخذه العدو فقطعوا يده وجردوا ثيابه فأفلت الى قومه نذيرا لهم

وهو عريان فقيل لكل مجتهد فى الانذار والتخويف النذير العريان

فاذا ثبت هذا فقد تشاكل الكلام بعضه ببعض فأمر المتدثر بالثياب مضاف الى معنى النذير العريان ومقابل ومرتبط به لفظا ومعنى.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ابن عجيبة (ت 1224 هـ) *

يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ } * { قُمْ فَأَنذِرْ } * { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } * { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } *

{ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ } * { وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } * { وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ } *

{ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ } * { فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ } *

{ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ }

يقول الحق جلّ جلاله: { يا أيها المدَّثِّر }

أي: المتلفّف في ثيابه، من الدِّثار، وهو كلُّ ما كان من الثياب فوق الشعار، والشعار: الثوب الذي يلي الجسد.

قيل: هي أول سورة نزلت، والصحيح:

أن أول ما نزل:{ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِكَ... } [العلق:1]

إلى قوله{.عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } [العلق:5] ثم فتر الوحي نحو سنتين، فحزن رسولُ الله ﷺ، حتى جعل يأتي شواهق الجبال،

فنزل: { يا أيها المُدَّثر } ،

وقيل: سمع من قريش ما كرهه، فاغتم، فتغطّى بثوبه متفكراً،

كما يفعل المغتم، فأمر ألاّ يدع إنذارهم وإن آذوه،

فقال: { قُمْ } أي: من مضجعك أو قيام عزم وتصميم،

{ فأنذِرْ } أي: فَحذِّر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا،

أو فافعل الإنذار من غير تخصيص، كما يُنبىء عنه قوله تعالى:

{ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً } [سبأ:28].

{ وربَّك فَكَبِّرْ } أي: خُص ربك بالتكبير، وهو التعظيم قولاً واعتقاداً،

فلا يَكْبُرُ في عينك إلاّ الله، وقل عندما يعروك من غيره: الله أكبر.

رُوي أنه لمّا نزل، قال رسولُ الله ﷺ: " الله أكبر " فكبَّرت خديجة وفرحت، وأيقنت أنه الوحي. وقد يُحمل على تكبير الصلاة،

والفاء بمعنى الشرط، كأنه قيل: أيّ شيء حدث فلا تدع تكبيره.

{ وثيابَك فطهِّرْ } مما ليس بطاهر، فإنه واجب في الصلاة،

فلا تصح إلاّ بها، ووَصْفُ كمالٍ في غيرها،

وذلك بصيانتها عن النجاسات، وغسلها بعد إصابتها،

أو قَصِّرْها مخالفةً للعرب في تطويلهم الثياب، وجرهم الذيول كِبراً،

فإنَّ طولها يؤدي إلى جرها على القاذورات،

وهو أول ما أُمر به ﷺ من ترك العادات المذمومة،

وقيل: المراد تطهير النفس مما يُستقبح من الأفعال،

ويُستهجن من الأحوال يُقال: فلان طاهر الذيل والرداء، إذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق، ولأنَّ مَن طهر باطنه ظاهره غالباً.

قال ابن العربي في أحكامه: والذي يقول: إنها الثياب المَجازية أكثر. هـ.

ومَن قال: إنها الحسية استدل بها على وجوب غسل النجاسة للصلاة،

وبه قال الشافعي، ومالك، في أحدى الروايات عنه.

{ والرُّجزَ فاهجرْ } أي: دُم على هجرانها، قاله الزهري وغيره.

وقال ابن عباس: أي: اترك المآثم التي توجب الرجز، وهو العذاب،

وفيه لغتان: كسر الراء، وضمها، وقُرىء بهما معاً.

قال الكسائي: الرُّجز ـ بالضم: الوثن، وبالكسر: العذاب.

{ ولا تمننْ تستكثرُ } أي: ولا تعطِ مُتكثِّراً، أي: رائياً لما تعطيه كثيراً،

أو طالباً للكثير على ما أعطيت، فإنك مأمور بأجلّ الأخلاق،

وأشرف الآداب، وهو من المنّ بمعنى الإنعام،

يُقال: مَنَّ عليه إذا أعطاه وأنعم عليه، " وتستكثر ": حال،

. أي: لا تُعطِ حال كونك تُعد ما أعطيت كثيراً، أو طالباً أكثر مما أعطى.

وقرأ الحسن بالجزم جواب النهي. { ولربك فاصبِرْ }

أي: لوجه الله استعمل الصبر على أوامره ونواهيه،

وعلى تحمُّل مشاق أعباء التبليغ وأذى المشركين.

{ فإِذا نُقِرَ في الناقور } أي: نُفخ في الصور، وهو فَاعُول من النقر، بمعنى التصويت، وأصله: القرع، الذي هو سبب الصوت، والفاء سببية، كأنه قيل: اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم هائل،

يلْقون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى عاقبة صبرك،

والعامل في " إِذا " قوله: { فذلك يومئذٍ يومٌ عسيرٌ } ،

فإنَّ معناه: عسر الأمر على الكافرين إذا نُقر في الناقور،

و " ذلك " إشارة إلى وقت النقر، وهو مبتدأ،

و { يومئذ }: مرفوع المحل بدل منه، و { يوم عسير }: خبر،

كأنه قيل: يوم النقر يوم عسير { على الكافرين } ،

وأكّده بقوله: { غيرُ يسير } ليؤذن بأنه يَسيرٌ على المؤمنين،

أو عسيرٌ

لا يُرجى أن يرجع يسيراً، كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا.
واختُلف في أن المراد به: يوم النفخة الأولى أو الثانية،

والحق إنها الثانية إذ هي التي يختص عسرها بالكافرين،

وأما النفخة الأولى، فحكمها ـ الذي هو الإصعاق ـ يعم البر والفاجر،
على أنها مختصة بمَن كان حيًّا عند وقوعها،

وقد جاء في الأخبار:

أن في الصور ثُقْباً بعدد الأرواح، وأنها تجمع في تلك الثُقب

في النفخة الثانية، فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح، فترجع إلى الجسد

الذي نزعت منه، فيعود الجسد كما كان حيًّا،

بإذن الله تعالى.

الإشارة:

يا أيها المتدثر بالعلوم والأسرار والمعارف قُم فأنذر الناسَ، والخطاب للداعي الأكبر ﷺ، ويتوجه لخليفته في كل زمان،

وهو مَن وجَّهه الله لتذكير العباد ليحيي به الدين في أول كل عصر،

كما في الأثر.

قال الورتجبي: يا أيها المدثر، أي: يا أيها الغريق في قَلزم القِدم،

قُم لدعوى محبتي، وأنذر أحبائي عن الاشتغال بغيري، وأَظْهِر جواهر حقائب بحر غيبي للمقبلين إلينا.

ثم قال على قوله: وربك فَكَبِّر،

عن الحُسيْن: عَظِّم قدره عن احتياجه إليك في الدعوة إليه،

فإنَّ إجابة دعوتك ممن سبقت له الهداية مني. هـ.

قال القشيري:

كبِّر ربك عن احتياجه إلى تكبير أحد، فإنَّ كبرياءه ذاتيٌّ له، قائم بنفسه، لا بغيره من المكبِّرين. هـ.

والمتبادر أنه أمَرَ الداعي بتعظيم الله وإجلاله دون غيره

من سائر المنذرين، فلا تمنعه جلالة أحد من العظماء والمتكبرين

عن التصدَّي لإنذاره وتذكيره.

وقوله تعالى: { وثيابك فطهِّر } أي: نَزّه ثياب إيمانك وعرفانك

عن لوث الطمع في الخلق، وخصوصاً عند الدعوة،

فلا تسأل عليه أجراً، ولا تؤمّل في جانبه عوضاً،

. فتُحرم بركة إنذارك، ويقلّ الانتفاع به

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه:

رأيت النبيَّ ﷺ في المنام، فقال: يا علي، طَهِّر ثيابك من الدنس،

تَحْظَ بمدد الله في كل نَفَس،

فقلتُ: وما ثيابي يا رسول الله؟

فقال: إنَّ الله كساك حُلة المعرفة، ثم حُلة المحبة، ثم حُلة التوحيد،

ثم حُلة الإيمان، ثم حُلة الإسلام،

فمَن عرف الله صَغُر لديه كل شيء، ومَن أحبّ الله هان عليه كل شيء،
ومَن وحّد الله لم يشرك به شيئاً، ومَن آمن بالله أَمِن من كل شيء،

ومَن أسلم لله قلّما يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه،

وإذا اعتذر إليه قَبِل عُذره.

قال: ففهمتُ حينئذ قوله تعالى: { وثيابك فَطَهّر }. هـ.

والرُّجز: كلُّ ما يشغل عن الله، فيُهجر اشتغالاً بالله،

ولا تمنن ببذل مُهجتك على ربك، مستكثراً لذلك،

فإنَّ قيمة وجودك لا تُساوي عُشر العشر من عظمة وجوده،

الذي يمنحك بدلاً من وجودك الذي أعطيته،

أو: ولا تمنن عليه بوجودك تطلب وجوده، فإنَّ وجوده إنما يُنال بكرمه، لا بشيء من العلل، ولربك فاصبر، أي: ولأجل الوصول إلى ربك فاصبر على مشاق السير، أو: ولربك فاصبر على إذاية الخلق

في حال الدعوة.

قال الورتجبي:

ولربك فاصبر في بذل وجودك في جريان تقديره،

أو مع ربك، وفي ربك، حين انكشف لك أنوار أسراره،

وخاصيتُكَ في النظر إلى جلاله وجماله، ولا تنزعج،

فتسقط عن درجة التمكين.

وقال القاسم: ولربك فاصبر تحت القضاء والقدر. هـ.

فإذا نُقر في الناقور: نُفخ في صور الفناء، فتندك السموات والأرض، بإظهار ما فيها من الأسرار، فتُطوى عن نظر العارف،

فيفنى مَن لم يكن، ويبقى مَن لم يزل،

فذلك يوم عسير على الكافرين بطريق الخصوص

إذ لا تنهدم العوالم لعين البصيرة إلاَّ لمَن هدم عوائد نفسه،

وخالف هواه. وبالله التوفيق.

ثم ذكر بعض رؤساء الكفرة الذين يعسر عليهم ذلك اليوم،

فقال: { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً }

.

تفسير تفسير الجيلاني/ الجيلاني (ت713هـ) *

يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ } * { قُمْ فَأَنذِرْ } * { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } * { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } *

{ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ } * { وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } * { وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ } *

{ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ } * { فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ } *

{ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ } * { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً } *

{ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً } * { وَبَنِينَ شُهُوداً } * { وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً }
* { ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ } * { كَلاَّ إِنَّهُ كان لآيَاتِنَا عَنِيداً } *

{ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً } * { إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ } * { فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ } *

{ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ } * { ثُمَّ نَظَرَ } * { ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ } *

{ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ } * { فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ}*

يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ [المدثر: 1 والمتدثر: المتغطي بملابس الطبيعة،

وثياب الإمكان الموجبة لأنواع الخسران والحرمان .

قُمْ .. من عالم الطبيعة، واخرج عن مضيق بقعة الإمكان بعدما كشفت طلائع فضاء اللاهوت، وبعدما خلصت من سجن عالم الناسوت

{ فَأَنذِرْ } [المدثر: 2] عموم بني نوعك؛ أي: المحبوسين في سجن الإمكان، المقيدين بسلاسل الزمان، وأغلال المكان عن دركات النيران،
وأودية الضلالات والجهالات في النشأة الأولى والأخرى.

{ وَ } خصص { رَبَّكَ } الذي ربَّاك على فطرة المعرفة والإيقان
بأنواع التجبيل والتعظيم { فَكَبِّرْ } [المدثر: 3] ذاته تكبيراً كاملاً
إلى حيث لا يخطر ببالك معه شيء؛
إذ هو المتعزز برداء العظمة والكبرياء، لا شيء سواه.

وبعدما انكشفت بوحدة ربك، وكبرته تكبيراً لائقاً بشأنه
{ وَثِيَابَكَ } التي هي ملابس بشريتك { فَطَهِّرْ } [المدثر: 4]
عن أوساخ الإمكان، وقذر عالم الطبيعة والهيولي،
فإن طهارتك عنها واجبة عليكم في ميلك إلى مقصد الوحدة.

{ وَٱلرُّجْزَ } أي: الرجز العارض لبشريتك من التقليدات الموروثة، والتخمينات المستحدثة من الآراء الباطلة،
والأهواء الفاسدة المكدرة لصفاء مشرب التوحيد واليقين
من الأخلاق الرديئة، والملكات الغير مرضية من الشهوية والغضبية المترتبة على القوى البهيمية
إلى غير ذلك من القبائح الصورية والمعنوية

{ فَٱهْجُرْ } [المدثر: 5] أي: جانِب وافترق؛ ليمكنك التخلق بأخلاق الله، والاتصاف بأوصافه .

ومن جملة الأخلاق المذمومة، بل من معظمها: المنة على الله بالطاعة وفعل الخيرات، وعلى عباده بالتصدق والإنفاق عليهم .

{ وَ } إذا سمعت { لاَ تَمْنُن } على الله مباهياً بطاعتك،

وعلى عباده تفوقاً عليهم { تَسْتَكْثِرُ } [المدثر: 6]

وتستجلب نعم الله على نفسك وإحسانه عليك،

وامتنانه لك بما لا مزيد عليه،

أو المعنى: { لاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } أي: لا تعط أحداً شيئاً على نية أن تستكثر وتتعوض منه بدله أكثر مما أعطيته، على مقتضى القراءتين

{ وَ } بالجملة: { لِرَبِّكَ } الذي ربَّاك على الخُلق العظيم

{ فَٱصْبِرْ } [المدثر: 7] على مشاق التكاليف، ومتاعب الطاعات والعبادات، وعلى أذيات المشركين حين تبليغ الدعوة إياهم، وإيصال الوحي إليهم.

وبعدما سمعت يا أكمل الرسل من الوصايا ما سمعت،

امتثل بها واتصف بمقتضاها اتقاءً عن يوم الجزاء.

{ فَإِذَا نُقِرَ } ونُفخ { فِي ٱلنَّاقُورِ } [المدثر: 8] أي: الصور المصور؛ لتصويت الأموات؛ ليبعثوا من قبورهم أحياءً كما كانوا، ثمَّ نُقر ثانياً؛ ليحشروا إلى المحشر، ويحاسبوا بين يدي الله، ثمَّ يجازوا

.على مقتضى ما يحاسب، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

{ فَذَلِكَ } أي: وقت النقر الثاني للحشر والوقوف بين يدي الله }

{ يَوْمَئِذٍ } أي: يوم القيامة { يَوْمٌ عَسِيرٌ } [المدثر: 9]
{ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ } إذ عسر عليهم حينئذٍ الأمر، واشتد الهول،
وتشتتت أحوالهم واضطربت قلوبهم،
وبالجملة: { غَيْرُ يَسِيرٍ } [المدثر: 10] عليهم حسابهم؛ لذلك عسر عليهم .
وبعدما سمعت قيام يوم القيامة وتنقيد الأعمال فيها، والجزاء عليها،
لا تستعجل يا أكمل الرسل لانتقام المشركين المسرفين،
ولا تعجل عليهم، بل { ذَرْنِي } يا أكمل الرسل
{ وَمَنْ خَلَقْتُ } أي: مع شخص خلقته { وَحِيداً } [المدثر: 11]
متفرداً من أهل عصره، مفروزاً منهم بكثرة الأموال والأولاد،
والثروة والجاه، إلى حيث لُقب بين قومه بريحانة قريش؛
يعني: وليد بن المغيرة .
{ وَجَعَلْتُ لَهُ } توسيعاً عليه، وامتناناً له
{ مَالاً مَّمْدُوداً } [المدثر: 12] كثيراً وافراً، متزايداً يوماً فيوماً
بالتجارة والنتاج والزراعة وغير ذلك .

{ وَبَنِينَ شُهُوداً } [المدثر: 13] حضوراً معه دائماً،
لا ينفصلون عنه زماناً؛ لاستغنائهم عن التجارة والحراثة
وسائر المصالح؛ لكثرة خدمهم وحشمهم، بحيث لا احتياج لهم

من تهيئة أسبابهم إلى ترددهم بأنفسهم؛ لذلك يحضرون معه في جميع المحافل والمجالس، والأندية تكميلاً لثروته ووجاهته .

{ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً } [المدثر: 14] أي: بسطت له بسطاً واستيلاءً، يتحسر ويتحسد بحاله جميع بطون العرب وأفخاذه.

ومع تلك الوجاهة العظمى، والكرامة الكبرى الموهوبة له لم يشكر عليَّ، ولم يرجع إليَّ قط { ثُمَّ يَطْمَعُ } ويرجو { أَنْ أَزِيدَ } [المدثر: 15]

على ما آتيته وأعطيته من النعم العظام،

مع أنه مصر على الكفر الكفران، وأنواع الفسوق والعصيان .

{ كَلاَّ } أي: كيف أزيد عليه، مع أن كفرانه وطغيانه

يوجب ويقتضي زوال ما أُعطي به، وكيف لا يوجبه

{ إِنَّهُ كان لآيَاتِنَا } الدالة على كمال عظمتنا،

واقتدارنا على أنواع الإنعام والانتقام { عَنِيداً } [المدثر: 16]

معانداً منكراً، وعناده أمارة زوال ماله وثروته وجاهه؟

وبالجملة: { سَأُرْهِقُهُ } أي: سأغشيه وأكلفه بالعنف في النشأة الأخرى

{ صَعُوداً } [المدثر: 17] عقبة شاقة المصعد والمهوى،

فأكلفه على الصعود والهبوط دائماً، بحيث لا نجاة منها، وعنه ﷺ: الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً، ثمَّ يهوى فيه كذلك أبداً ، وهو مثل لما يلقى من الشدائد .

وكيف لا أكلفه بصعود الصعود وهبوطه { إِنَّهُ } من شدة شكيمته،

وخباثة طينته { فَكَّرَ } في آيات القرآن على وجه التدبر

فلم يجد فيه طعناً وقدحاً { وَ } بعدما لم يجد ما يصلح للطعن

{ قَدَّرَ } [المدثر: 18] في نفسه على مقتضى خباثته ما ينفق به،

ويقول فيه على سبيل القدح؟

ثمَّ قال سبحانه على سبيل التعجب من إفكه وتقديره

{ فَقُتِلَ } أي: لُعن وطُرد { كَيْفَ قَدَّرَ } [المدثر: 19] له قدحاً،

! مع أن القرآن منزه عن القدح مطلقاً؟

{ ثُمَّ قُتِلَ } ذلك المعاند الطاغي { كَيْفَ قَدَّرَ } [المدثر: 20] ما هو بعيد عن شأن القرآن بمراحل؟ كرره سبحانه مبالغةً في التعجب والاستبعاد .

{ ثُمَّ نَظَرَ } [المدثر: 21] كرة بعد أولى، ومرة بعد أخرى في أمر القرآن

{ ثُمَّ } لمَّا لم يجد فيه طعناً، مع أنه من أرباب اللسن والفصاحة

{ عَبَسَ } أي: قطب وجهه وكلح، واستكره كراهة شديدة

{ وَبَسَرَ } [المدثر: 22] اهتم وبالغ في وجدان القدح اهتماماً بليغاً فلم يجد، وأيس ملوماً مخذولاً .

{ ثُمَّ } بعدما دبر مراراً فلم يجد { أَدْبَرَ } عن الإيمان بعدما أشرف على الإقبال بالإيمان والقبول { وَ } ما حمله على الإدبار إلى أنه { ٱسْتَكْبَرَ } [المدثر: 23] واستحيى عن أتِّباعه .

وبالجملة: { فَقَالَ } بعد اللتيا والتي { إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ }

[المدثر: 24] أي: يُروى ويُتعلم .

التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي/ الإمام أحمد بن عمر (ت618 هـ) *

{ يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ } * { قُمْ فَأَنذِرْ } * { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } * { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } *

{ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ } * { وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } * { وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ } *

{ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ } * { فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ } * { عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ } * { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً } * { وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً } * { وَبَنِينَ شُهُوداً } * { وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً } * { ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ } *

{ كَلاَّ إِنَّهُ كان لآيَاتِنَا عَنِيداً } * { سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً }

يا أيها المنذر لا تدثر بدثار القالب، { يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ } [المدثر: 1]

من خوف وارد القلب، { قُمْ فَأَنذِرْ } [المدثر: 2] قواك بأمر الرب،

{ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } [المدثر: 3]؛ أي: عظم الرب عما تصفه القوى الكافرة،

{ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } [المدثر: 4]؛ يعني: طهر بماء الذكر ثياب وجودك

ليمكن لك أن تعظم الرب، { وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ } [المدثر: 5]؛ يعني: اهجر الرجز بعد تطهير الثياب؛ لئلا يلوث بالخاطر الهوى،

{ وَلاَ تَمْنُن } [المدثر: 6] بتكثير؛ يعني: لا تنذر الخلق لنفسك،

ولا تنصحهم لحظك، ولا تعط مالك من المعارف الآثارية تريد به وجاهتك حتى يفيض عليك من المعارف الصفاتية،

{ وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } [المدثر: 6] في نفسك عين معرفتك حتى يشرفك الله بالمعارف الذاتية، ولا تعمل لله مراقبة جهره لتكون مخلصاً في عملك.

وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ } [المدثر: 7]؛ يعني: فاصبر على كتمان الأسرار خاصة لأمر الرب وغيره على محذرات أسراره المقدسة؛

لئلا يطلع عليها الأغيار،

{ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ } [المدثر: 8]؛

يعني: إذا نفخ في الصور التي هي كالناقور،

وفي عالم الأنفس ناقور كل أحد قالبه،

والنافخ فيه قوة إسرافيلية كما ذكرنا من قبل،

{ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ } [المدثر: 9]؛ يعني: النفخ في القالب في تلك الساعة أمر عسير، { عَلَى ٱلْكَافِرِينَ }

[المدثر: 10]؛ أي: على القوى الكافرة، { غَيْرُ يَسِيرٍ } [المدثر: 10]

ليس بعده عسرة رجاء اليسر.

{ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً } [المدثر: 11]؛ يعني: أيتها اللطيفة الخفية المنذرة ذرني ومن خلقت من القوى وحيداً من غير شريك،

{ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً } [المدثر: 12]؛ يعني: جعلت له استعدادات كثيرة، وأعطيته آلات وأدوات لأجل الكسب،

{ وَبَنِينَ شُهُوداً } [المدثر: 13]؛ يعني: بنتائج شاهدين لها مأمور بأمرها

معينين على كسبها، { وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً } [المدثر: 14]؛

يعني: بسطت له بساط العيش على أحسن وجه

خيراً من لطائف النباتات والحيوانات العلوية والسفلية،

{ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ } [المدثر: 15] بعناده وكفرانه؛

يعني: { كَلاَّ } [المدثر: 16]؛ أي: ليس الأمر كما ظن،

{ إِنَّهُ كان لآيَاتِنَا عَنِيداً } [المدثر: 16] كما بينا له أنه عاند اللطيفة المنذرة والآية البينة معاندة جحوداً وإنكارا { سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً } [المدثر: 17] سأكلفه اليوم مشقة دائمة صاعدة أبد الآباد .

تمن بإذن الله

2024 /8/8

إعداد قدرى جاد

الهرم على بن أبى طالب

تم

.